اسم الجمع ودلالته في كتاب عمدة القارئ للإمام بدر الدين العيني

الأسماء : (إبل ، أدَم ، ثلاث ، خَيل ، ركْب، رهْط ، غنم ، نفَر ، نِسْوة) أنموذجاً

إعداد: د. فوزي حسين الراشدي•

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الصادق الأمين، وعلى آلـه وأصحـابه وبعـد: فإنّ مصطلح اسم الجمع من المصطلحات الدالة على الجمع، الذي استعمله العلماء قديماً وحديثاً، وإنْ كان من المفردات باعتبار لفظه، فهو من الجموع باعتبار معناه .

وهذه الدراسة – بعون الله – تتناول هذا القسم من الجموع من جانبين: جانب الاصطلاح العلمي، وجانب المعنى أو الدلالة، وذلك عن طريق تتبعه عند أحد شُرّاح الحديث النبوي، وهو الإمام بدر الدين العيني– رحمه الله – من خلال شرحه الموسوم بـ(عمدة القارئ شرح صحيح البخاري)، وقد اخترته ميداناً لهذه الدراسة؛ لما يتمتع به هذا الشرح من ثروة لغوية دفينة، ولا غرابة في ذلك؛ إذ يُعدّ صاحبه من أئمة النحو واللغة، فضلاً عن اشتغاله بعلم الحديث.

إشكالية البحث:

يحاول البحث الإجابة على التساؤلات الآتية:

1– ما دلالات اسم الجمع في شرح العيني؟

• كلية الآداب ،المرقب /قاعات القره بوللي

2- وقع خلط عند علماء اللغة قديماً بين المصطلحات الدالة على الجمع، فهل انعكس هذا الأمر في شرح العيني؟

3- هل كان الإمام العيني موافقاً لأهل اللغة في استعماله مصطلح اسم الجمع عند شرحه للنص النبوي؟

هدف الدراسة:

1- بيان الدلالات التي يحملها اسم الجمع داخل شرح العيني.

2- معرفة مدى اتفاق مذهب الإمام العيني مع أهل اللغة حول استعمال مصطلح اسم الجمع، واختلافه معهم.

الدراسات السابقة:

لاشك إنّ كتاب عمدة القارئ للإمام العيني، قد قامت عليه العديد من الدراسات، وربّما تناولته من جوانب لغوية مختلفة؛ فكان ميداناً مهماً ونافعاً للدارسين. ولكن من خلال اطّلاعي على تلك الدراسات، وفي حدود علمي المتواضع؛ لم أعثر على أي دراسة عالجت مصطلح (اسم الجمع) معالجة خاصة ومستقلة داخل النص النبوي، سواء في شرح الإمام العيني، أو في غيره.

أمّا دراسة الجموع بشكل عام في الحديث الشريف: فهناك دراسة تحمل عنوان (جموع التكسير في صحيح البخاري) بالجامعة الهاشمية / الأردن، للأستاذ: خالد محمود شحادة، وهي رسالة ماجستير، ولكنها لم تتطرق إلى دراسة مصطلح اسم الجمع .

وخارج ميدان الحديث الشريف هناك ثلاث دراسات :

الأولى– تحمل عنوان: **(أسماء الجموع في القرآن الكريم)** للدكتور محمد إبراهيم عمارة، وهو كتاب مطبوع، تناول فيه اسم الجمع ودلالته في القرآن الكريم. ويعتبر هذا الكتاب من المراجع المهمة؛ لأنّه يمثّل دراسة خاصة ومستقلة لميدان مهم من ميادين اللغة، وهو القرآن الكريم.

والدراسة الثانية– تحمل عنوان: **(اسم الجمع في العربية دراسة نحوية)**، وهو بحث للدكتور خالد العبيدي، قد نشرته كلية العلوم الإسلامية ببغداد، وقد اشتمل البحث على خمسة مباحث :

المبحث الأول – (اسم الجمع ومفهومه عند النحاة)، ذكر فيه تعريفات لاسم الجمع، وبما يختلف عن غيره، ثمّ تطرق إلى ذكر أوزانه، واختلاف العلماء فيها من حيث إنّها اسم جمع أو جمع .

المبحث الثاني – (الحمل على معنى اسم الجمع) ذكر فيه عودة الضمير على اسم الجمع: تارة بصيغة الجمع مراعاة للمعنى، وتارة بالإفراد مراعاة للفظ، وكذلك تذكير ضميره وتأنيثه حملاً على معنى الجمع والجماعة .

المبحث الثالث – (إضافة العدد إلى اسم الجمع)، حيث ذكر فيه اختلاف النحاة في جواز هذه المسألة ، كما أورد رأي جمهور النحاة وهو: أنّ الأصل في هذا أن يُؤتى بمُفسر هذا النوع مقروناً بـ(من) .

المبحث الرابع – (دلالة اسم الجمع)، ذكر فيه أنّ دلالته كدلالة الجمع، فيُطلق على الثلاثة فصاعداً، وقد يُطلق على المفرد والمثنّى مجازاً .

المبحث الخامس – (جمع اسم الجمع) ذكر فيه آراء النحاة في جمع هذا الاسم .

الدراسة الثالثة – تحمل عنوان : **(اسم الجمع : دراسة لغوية)** وهي كتاب لمؤلفه د. نوح بن يحي الشهري ، وجاء الكتاب في ثلاثة فصول:

الفصل الأول– بعنوان: (اسم الجمع ودلالته) الذي تتبع فيه آراء علماء اللغة حول هذا المصطلح، مستقصياً آراء ثلاثين عالماً منهم، من بداية القرن الثاني الهجري وحتى العصر الحديث. وكانت الآراء التي استعرضها مختلفة فيما بينها كمّاً وكيفاً، والتي أظهرت فيما بعد الخلط القائم عند العلماء بين مصطلح اسم الجمع وغيره من المصطلحات الأخرى .

الفصل الثاني– بعنوان : (أوزان اسم الجمع)، وقد جمع مادة هذا الفصل من مصدر مهم من مصادر اللغة، وهو معجم (لسان العرب)، الذي توصل من خلاله إلى استخلاص خمسة وخمسين وزناً لاسم الجمع.

والفصل الثالث– بعنوان: (أحكام اسم الجمع)، تحدث فيه عن أحكام اسم الجمع الصرفية المتعلقة بتثنيته، وتصغيره، ونسبه، وأحكامه النحوية المتعلقة بوصفه وتذكيره، وتأنيثه، والإشارة إليه، وعودة الضمير إليه. وتعتبر هذه الدراسة شاملة ومهمة لدارسي هذا المصطلح.

المنهج المستخدم :

لقد اعتمدت في بحثي هذا منهجاً، جمع بين الوصف والاستقراء، الذي يتخلله التقييم والتحليل، والمقارنة، ووفق المعايير والضوابط التي وضعها العلماء لهذا المصطلح، والتي تميزه عن غيره من المصطلحات الدالة على الجمع .

وخوفاً من تضخّم البحث وتشعبه، ولضيق المجال؛ ارتأيت أن تكون الدراسة مقتصرة على عدة ألفاظٍ ، قد تخيّرتها كنماذج للدراسة، وهي مدوّنة تحت عنوان البحث الرئيسي

خطـة البحث:

التمهيد / وتضمّن التعريف بالإمام العيني وكتابه، والتعريف بمصطلح اسم الجمع .

المطلب الأول– مصطلح اسم الجمع عند أئمة النحاة، وعند الإمام العيني .

المطلب الثاني – موقف العيني من المسائل الخلافية ، وتتضمن :

أولاً – لفظة (ركْب) .

ثانياً– لفظة (نِسْوة)

المطلب الثالث– مذهبه في لفظتي : (إبل ، وغنم)

الخاتمة : عرضت فيها بإيجاز أهم نتائج البحث

التمهيد وتضمّن :

1– التعريف بالإمام العيني وكتابه :

هو الإمام محمود بن أحمد بن موسى المعروف ببدر الدين العيني (ت762هـ) الذي عدّه المؤرّخون من علماء عصره، ونتاجه العلمي والقارئ له، يشهدان على مدى رسوخ قدمه في العلم، وذيوع صيته بين أهل زمانه، وذلك راجع إلى ما يتمتع به من كثير

اطّلاع على مختلف العلوم كالتاريخ، والفقه، والتفسير، وعلوم القرآن، وعلوم اللغة والنحو، وعلاوة على ذلك فإنّه كان قاضياً ومُحدّثاً [1]

ويعتبر كتابه (عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري) من المصنّفات المهمة التي اعتنت بشرح صحيح البخاري، وربّما من أهم مؤلفات هذا العالم الجليل، وما يميّز هذا الشرح: هو اشتماله على مادة وفيرة ومتنوعة من علوم اللغة والنحو، التي لا ينضب ماؤها ولا يجف معينها. فلا تكاد تجد في ثنايا هذا الكتاب مسألة لغوية إلاّ والإمام قد أحاط بها، مُدلياً بدلوه فيها: إمّا بالشرح والتعليق تارة، أو بتصويب الآراء الخاطئة تارة أخرى .

2- **تعريف اسم الجمع:** " هو الاسم الدال على أكثر من اثنين، موضوعاً لمجموع الآحاد المجتمعة دالاً عليها دلالة المفرد على جملة أجزاء مسمّاه[2]

المطلب الأول

(مصطلح اسم الجمع عند أئمة النحاة، وعند العيني)

أولاً- مصطلح اسم الجمع عند النحاة :

يذكر الدارسون أنّ أوّل من ضبط مصطلح اسم الجمع، ووصفه للدارسين، ورسّخه في أدهانهم، وأرسى مفهومه، موضحاً الفروق التي بينه وبين الألفاظ المشاركة له في معنى الجمع – هو سيبويه إمام النحاة [3]

---

[1]) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي : 275/2

[2]) اسم الجمع في العربية ، خالد العبيدي ، ص415 .

[3]) أسماء الجموع في القرآن الكريم ، محمد إبراهيم عمارة : ص13 – 14

وقد ذكر سيبويه هذا المصطلح في غير موضعٍ من كتابه، حيث يقول: " وأمَّا ما كان اسماً لجمع مؤنث لم يكن له واحدٌ، فتأنيثه كتأنيث الواحد، لا تصرفه اسم رجل، نحو: إبل، وغنم ؛ لأنّه ليس له واحد" [1] ، ويقول في موضع آخر : " باب ما هو اسم ما يقع على الجميع لم يُكسّر عليه واحده، ولكنه بمنزلة (نفَر) و(قَوْم) و(ذَوْد) إلاّ أنّ لفظه من واحده، وذلك قولك: سفْر وركْب "[2]

ومن خلال نصي سيبويه يتبيّن أنّ اسم الجمع عنده نوعان:

أحدهما – ما تضمّن معنى الجمع ولا واحد له من لفظه نحو إبل وغنم، فمفردهما : بعير وناقة، وشاة.

والآخر– ما له واحد من لفظه نحو : ركْب وسفْر اللذين مفردهما راكب وسافر. وقد استخدم مصطلح اسم الجمع غيرُ واحدٍ من النحاة، منهم: المبّرد (ت210 هـ) الذي يقول في مقتضبه: " وأمّا قولهم خادم وخدم، وغائب وغيب، فإنَّ هذا ليس بجمع فَاعل على صحة؛ إنَّما هي أسماء للجمع ولكنه في بابه، كقولك: عمود وعُمُد وأفيق وأُفُق[3])، وابن السراج (ت316هـ) في أصوله [4])، وابن سيده (ت458هـ) في محكمه[5]).

---

[1]) الكتاب: 240/3

[2]) المصدر نفسه : 624/3.

[3]) المقتضب : 218/2

[4]) يُنظر الأصول في النحو : 31/3.

[5]) يُنظر المحكم : 1/ 39، 35/2 ، 363/10.

وقد اختار د . نوح الشهري في إحدى دراساته ثلاثين عالماً، من علماء العربية، مستعرضاً آرائهم حول استعمالاتهم لمصطلح اسم الجمع، وقد تبيَّن له في نهاية الأمر، أنّ العلماء قديماً قد وقع اختلافهم في تحديد مصطلح اسم الجمع ، فهناك من سمّاه جمعاً ، وهناك من سمّاه اسم جنسٍ؛ ممّا نتج عنه وقوع الخلط بين المصطلحات الدالة على الجمع فيما بعد [1] ومن هؤلاء العلماء الذين ذكرهم :

1- الفرَّاء (ت207هـ) الذي يرى " كلٌ ماله واحد من تركيبه سواء كان اسم جمع كباقر وركْب، أو اسم جنس كتمر وروم ، فهو جمع " [2]

2- الأخفش سعيد بن مسعدة (ت215هـ)، الذي صنّف (ركْب) و(سفْر) من جموع التكسير [3]

3. ابن فارس (ت395هـ) الذي عقد في كتابه الصاحبي فصلاً سمّاه : (من الجمع الذي لا واحد له)، وذكر فيه من أسماء الجموع : الإبل، والغنم،والرهط، والنّفَر [4]

4. ابن الشجري(542هـ) في كتابه الأمالي: يساوي بين اسم الجمع واسم الجنس الجمعي، فيقول: " السّحاب، والحمام، والنخل، والشجر، وما أشبههن ممّا وقع الفرق بينهن وبين واحده بتاء التأنيث؛ فليست بجموع حقيقة ، وإنّما هي أسماء للجمع "[5]

---

[1]) يُنظر اسم الجمع (دراسة لغوية) ، نوح الشهري: ص25

[2]) يُنظر شرح الكافية للرضي الاستراباذي : 367/3.

[3]) . يُنظر المصدر نفسه والموضع نفسه

[4]) يُنظر الصاحبي في فقه اللغة : 196/1 .

[5]) يُنظر الأمالي لابن الشجري : 47/2

5. ابن مالك (ت672هـ)، الذي لم يفرّق بين اسم الجمع، واسم الجنس الجمعي : فيورد في باب اسم الجمع ألفاظاً هي من قبيل اسم الجنس الجمعي منها: تمْر وتمْرة ، ونَبِقٌ ونَبِقة، وشجَر وشجَرة [1]

وإذا عُدنا إلى نهج سيبويه في تعامله مع هذه المصطلحات، وجدناه قد وضع فروقاً تميّز بينهما حتى صارت أدلة على صحة مذهبه منها [2] :

1- إنّ أسماء الجمع، لا تخضع لأوزان جمع التكسير.

2- إنّ كلاً من سفْر وركْب، يُصغّران على لفظيهما، فقالوا: سُفَير، ورُكَيب، ولو كانا من جموع التكسير، لصغّرا على لفظ مفرديهما .

3. إنّ جموع التكسير، لا تُجمع جمعاً سالماً؛ وبذلك يبطل المذهب القائل أنّ (سراة) التي مفردها سري اسم جمع ؛ لأنّها قد جُمعت على (سروات) ، في حين إنّنا لم نسمع قُضيات جمعاً لقُضاة .

4- التذكير: فيُقال: هذا أديم وأدَم . وهذا لا يتأتى في جموع التكسير؛ إذ لا يصح هذا كتاب وكُتُب، بل هذه كُتُب. وقد اجتمعت الأدلة الثلاثة أعني: التذكير والتصغير والوزن في اسمي الجمع (باقر، وجامل)؛ لأنّ التذكير يلزمهما، كما أنهما على زنة فاعل، التي ليست من أوزان جموع التكسير، ويصغران على لفظيهما فيُقال: بويقر وجويمل.

---

[1]) يُنظر شرح التسهيل : 59/1

[2]) يُنظر الكتاب : 624/3- 625 .

وعلاوة على ما وضعه سيبويه من أدلّة، تمثّل فوارق بين اصطلاحي اسم الجمع والجمع – وضع علماء آخرون ما يمكن أن يفُرّق به بين اسم الجمع ومصطلحين آخرين يشاركانه في الدلالة على الجمع؛ وهو: اسم الجنس الجمعي والإفرادي، ولعلّ من أبرز الفوارق التي ذكروها [1] :

1. إنّ اسم الجمع يدل على أكثر من اثنين، وفي الغالب لا يوجد له مفرد من لفظه، وإنْ وُجد لم يفرق بينه وبين مفرده بالتاء، أو الياء نحو ركْب وراكب، وبذلك يختلف عن اسم الجنس الجمعي نحو تمر وتمرة ، أو زنـج وزنجي .

3- اسم الجنس الإفرادي ليس له واحد من لفظه، ويدل على القليـل والكثير نحو تُراب ومـــاء.

ثانياً – مصطلح اسم الجمع عند الإمام العيني:

يمكن القول إنّ الإمام العيني استطاع تعريف اسم الجمع، كما هو الحال عند أهل اللغة، فقـال: " والخيل اسم جمع للعراب والبراذين[2])، ذكورها وإناثها كالركْب، ولا واحد لها من لفظهـا، وواحـدها فـرس" [3]) .

---

[1]) يُنظر شرح الشافية للرضي الاستراباذي : 2/ 178، 193، 195 .

[2]) العراب : الخيول العربية ، والبراذين : غير العربية مفردها برذون . لسان العرب لابن منظور:(ب ر ذ ن)

[3]) يُنظر عمدة القارئ : 35/9

وهو بهذا يقترب من تعريف سيبويه لهذا المصطلح، الذي يدلُّ على ثلاثة فصاعداً، وهذا أمرٌ متعارف عليه. وفي شرحه ذكر العيني ألفاظاً صرّح بأنّها من قبيل اسم الجمع، فوافق مذهبه مذهب أهل اللغة، من ذلك:

1. (الأدَم) – وهو عند العيني اسم جمع، حيث يقول: " الأدَم وهو بفتحَتين اسْم لجمع أَدِيم، وهو الجلد المدبوغ " [1]، وهو رأي سيبويه أيضاً [2] ويرجّح السمين الحلبي مجيء صيغة (فَعَل) بفتحتين اسم جمع لا جمعاً، ويستدل على ذلك بأنّ (فَعَل) ليس من أبنية الجمع[3]، وهو رأي أبي حيان في تفسيره [4].

غير أنّ ابن عطية خالفهم، وذهب مذهب أبي الحسن في أنّ (سَلَف) بوزن (فَعَل) في قوله تعالى: ﴿**فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ** ﴾ [5] جمع سالف [6] .

2– (الثلاث) – في ردّه على من ذهب إلى أنّ (الثلاث) جمع ثلاثة في حديث :﴿ **آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان**﴾ [7] ؛ رجّح العيني أن

---

[1]) يُنظر المصدر نفسه : 48/17 .

[2]) يُنظر الكتاب لسيبويه : 625/3 .

[3]) يُنظر الدر المصون : 600/9 .

[4]) يُنظر البحر المحيط : 383/9

[5]) الزخرف : 56 .

[6]) يُنظر المحرر الوجيز : 60/5 .

[7]) عمدة القارئ ، باب علامات المنافق ، (حديث رقم : 33.)

يكون(الثلاث) اسم جمع لا جمعاً، حيث قال :" لَا نسلم أَن الثَّلاث جمع ، بل هو اسم جمع، ولفظه مُفرد، على أَن التَّقدِيـر: آية المنـافِق معدود ة بِالثلاثِ "[1].

3- (الخيل): اسم جمع عند العيني، ولا واحد له من لفظه، وقد صرّح بذلك في قوله: " والخيل اسم جمع للعراب والبراذين ذكورها وإناثها كالركب، ولا واحد لَهَا من لفظهَا، وواحدها: فرس"[2] .

وقد ترد الخيل بالمعنى المجازي: فتدل على الفرسان، وقد وُجد هذا المعنى عند العيني عند شرحه لحديث: " **بَعَثَ النبيُّ – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم – خيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ فَجاءَتْ بِرَجُلٍ منْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقالُ لَهُ ثُمامَةُ بنُ أُثَالٍ فرَبَطُوهُ بِسارِيَةٍ مِنْ سَوارِيَ الْمَسْجِدِ** "[3] فقال: (بعثَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم خيلاً) أَي: فرسَان خيل، وَهَذَا من ألطف المجـازات وأحسنهـا " [4]

وبهذا يوافق مفسري القرآن في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿**واجلب عَلَيْهِم بخيلك ورجلك**﴾[5] أي بفرسانك، ورجالتك [6]

---

[1]) عمدة القارئ : 218/1

[2]) المصدر نفسه :35/9

[3]) المصدر نفسه ، باب الربط والحبس في الحرم ، حديث رقم : (3242) .

[4]) المصدر نفسه : 22/18 .

[5]) الإسراء : 46.

[6]) يُنظر أسماء الجموع في القرآن الكريم، محمد إبراهيم عبادة : ص127 .

4. (الرّهْط): وهو اسم جمع عند الإمام العيني، حيث يقول : " الرَّهْط من ثلاثة إِلَى عشرة، والنفر من ثلاثة إِلَى تسعة، وكل منهما اسم جمع لَا واحد له، ولا مُنافاة بينهما من حيث المعنى"[1] فساوى بينهما في الدلالة على القلّة، غير أنّه في مواضع أُخر جعل الرهط دالاً على الكثرة فذكر: أنّ الرهط يكون من ثلاثة إلى أربعين، ولا واحد له من لفظه[2] وعلى هذا المعنى فسر (الرهط) الوارد في حديث عبادة بن الصامت : " **بايعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ليلة العقبة في رهط، فقال: أُبَايِعكُم على أَن لَا تُشْرِكُوا بِاللَّه شَيْئا، وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تشْربُوا وَلَا تقتلُوا أَوْلَادكُم وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَان تفترونه بَين أَيْدِيكُم وأرجلكم**" [3] بأنه اثنا عشر رجلاً، وهم النقباء الذين اختارهم النبي – صلى الله عليه وسلم – على أقوامهم في الدعوة إلى الإسلام [4]

وهذا الاختلاف في التفسير؛ رُبّما هو ناتج عن اختلاف العلماء في دلالة (الرهط) ، وقد نقل العيني عنهم هذا الاختلاف في غير موضع من شرحه، من ذلك قوله: " وقد قال أهل اللُّغَة: إِنَّ الرَّهط مَا دون العشرة من الرِّجَال لَا يكون فيهم امرأَة. قَال الله تعالى: ﴿**وَكَانَ فِي الْمَدِينَة تِسْعَة رَهْط**﴾ [5]

---

[1]) عمدة القارئ : 154/20 .

[2]) يُنظر المصدر نفسه :196/1

[3]) عمدة القارئ ، باب : شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، حديث رقم : (7468)

[4]) يُنظر المصدر نفسه :158/1

[5]) النمل : 48 .

قال ابْنُ دريد: ربما جاوز ذلك قليلاً" [1] وقد اختلف العلماء في اسم الجمع، من حيث دلالته على القلة أو الكثرة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول – يرى أنّ بعض أسماء الجموع تدل على القلة، وبعضها يدل على الكثرة، ومرجع ذلك إلى السماع.

والثاني – يرى أنّها ألفاظ مبهمة، لا تختص بقلة أو بكثرة.

الثالث – يرى أنّها تختص بالكثرة [2].

5. **(النّفَر)**: وهو عند العيني اسم جمع، وقد صرَّح بهذا عند شرحه لقوله – صلى الله عليه وسلم – "**(أَلا أُخْبِرُكُمْ عَن النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ؟ أمّا أحدُهُمْ فَأَوَى إِلَى الله فآوَاهُ الله، وأمّا الآخَرُ فاستَحْيا فاسْتحيْا الله مِنْه، وأمّا الآخَرُ فأعْرَضَ فأَعْرَضَ الله عَنهُ** "[3] حيث يقول: " والنفر ليس بجمع، قلتُ: النَّفر اسم جمع فِي وُقُوعه تمييزاً كالجمع " [4]، كما أنّه يحدّد دلالته على القلة، فيقول: " النَّفر والنفير: عدَّة رجال من ثلاثة إِلى عشرة، وجمع النَّفر: أَنْفَار وأنفِرة ونِفْراء. وَقَالَ الأصمعِي: نفر الرجل رهطه. فإِن قلتَ: فعلى هذَا التَّقدير أقل ما يُفهم منه ههنا تِسعة رجال؛ لأنَّ أقل النَّفر ثلاثة؟ لكنه ليس كذلك، إِذ لم يكن المقبلون إلاَّ رجالا ثلاثة. قلتُ: معناه ثلاثة هي نفر، كأنَّ النَّفر هو بيان للثَّلاثة، أو المراد

---

[1] عمدة القارئ : 158/1.

[2] يُنظر اسم الجمع (دراسة لغوية) ، نوح الشهري : ص45 .

[3] عمدة القارئ : 31/2، كتاب العلم (حديث رقم : 66) .

[4] عمدة القارئ : 32/2 .

من النَّفر معناه العرفيّ، إذ هو بِحَسب العرف يُطلق على الرجل، فكأَنَّه قَال: ثلاثة رجال"[1] ويقول في موضع آخر: " وهو اسم جمع يقع على جماعة من الرِّجال خاصَّة، ما بين الثَّلاثة إِلَى العشرة، ولا واحد له من لفظه "[2]

ومصطلح (النَّفَر) ارتبط معناه في شرح العيني بالقرابة، التي تمثّل أهل المرء وعشيرته التي ينتمي إليها، وقد تكرَّر هذا في أكثر من موضع في شرحه [3]

المطلب الثاني (موقف الإمام العيني من المسائل الخلافية)

أولاً– لفظة (رَكْب):

ذكر العيني لفظاً في شرحه؛ كان مثار خلافٍ واسعٍ بين النحاة قديماً. هذا اللفظ هو **(رَكْب)**، بوزن (فَعْل) .

وهذه الصيغة جزم سيبويه بأنّها من صيغ اسم الجمع؛ للأسباب التي تمّ ذكرها آنفاً، وأهمها: أنّها ليست من صيغ الجمع. وقد سار على نهج سيبويه أغلب النحاة، وصنّفها الأخفش من جموع التكسير.

أمّا الإمام العيني، فإنّ رأيه كان متبايناً في شرحه : فهو لم يرجّح رأياً عن رأي آخر بل كان يأخذ بهذا تارة، ويأخذ بذاك تارة أخرى، وكانت آراؤه على النحو التالي:

---

[1]) المصدر نفسه : 32/2 .

[2]) المصدر نفسه : 103/6

[3]) يُنظر المصدر نفسه : 99/12، 88/15، 21/20،153

1. يصرّح بأنّ اللفظة من أسماء الجموع. ففي قوله: " والخيل اسم جمع للعراب والبراذين ذكورها وإناثها كالركب" [1]. يصرّح العيني في نصه السابق بأنّ الخيل اسم جمع كالركب، فهذا اعتراف منه بأنّ (الرّكْب) اسم جمع.

2- يكتفي بنقل رأي سيبويه والأخفش، دون أنْ يأخذ بأحدهما، من ذلك قوله: " رَكْب بِفَتح الرَّاء جمع راكب كتَجْر وتاجر وقيل اسم جمع كقوم وذود وهو قَول سيبويه [2].

3- يأخذ بمذهب الأخفش، فيقول: " الركْب بفتح الرَّاء وسُكون الكاف: جمع راكب، كتَجَر جمع تاجر" [3].

ويطلق الرّكْب لغة على راكبي الإبل في السفر، وهم العشرة فما فوقها، فانحصرت دلالته في الكثرة [4]، وإلى هذا ذهب العيني معتمداً على أقوال أهل اللغة حيث يقول: " والركب: أَصحاب الإبل فِي السّفر، وهو للعشرة فما فوقها قَالَه: ابن السّكيت وغيره، وقَال ابن سيده: أرى أَنَّ الركب يكون للخيل ولِإبِل، وفِي التَّنزِيل ﴿**وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ**﴾[5] فقد

---

[1]) عمدة القارئ : 35/9

[2]) يُنظر المصدر نفسه : 84/1، والكتاب : 624/3 حيث قال : فالرَّكب لم يكسر عليه راكبٌ. ألا ترى أنكَّ تقول في التحقير: ركيبٌ وسفيرٌ "

[3]) المصدر نفسه : 49/17 ، وشرح الشافية للرضي : 203/2 .

[4]) يُنظر لسان العرب، لابن منظور : (ر ك ب)

[5]) الأنفال : 42 .

يجوز أَنْ يكون منهما جميعًا وقَول عليّ– رضي الله عَنه– ما كان معنا يومئِذٍ فرس إِلَّا فرس عليه المقْداد بن الأسود يُصحَح أَنَّ الركب ههنا ركاب الإبِل " [1]

وحدّده بثلاثين رجلاً ، في حديث " **عَن الزُّهْرِيّ قَالَ أَخْبرنِي عبيد الله بن عبد الله بن عتبَة بن مَسْعُود أَن عبد الله بن عَبَّاس أخبرهُ أَن أَبَا سُفْيَان بن حَرْب أخبرهُ أَن هِرقل أرسل إِلَيْهِ فِي ركب من قُرَيْش** "[2]

وخالف ابن عطية مفسري القرآن: فذهب إلى أنّ الركْب يدل على القلة مستدلاً بحديث للنبي– صلى الله عليه وسلم – قد ساقه أثناء شرحه لقوله تعالى :﴿ **وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ** ﴾[3] فقال: " وقال القتبي: الركب العشرة ونحوها، وهذا غير جيد؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، قد قال: والثلاثة ركْب " [4] . وحصره أبو حيان في دلالته على شيئين: أحدهما– الرجال الذين يصل عددهم إلى أربعين .

والآخر– مجموعة الإبل في السفر. فدلالة الركب عنده كانت على الكثرة [5] . وذهب الألوسي (1270هـ) مرجحاً رأي سيبويه في ضبطه للمصطلح، فقال: " وَالرَّكْبُ: أي

---

[1]) يُنظر عمدة القارئ : 84/1، 8/ 80

[2]) يُنظر عمدة القارئ ، باب الإيمان، حديث رقم (6)

[3]) الأنفال: 42 .

[4]) المحرر الوجيز : 533/2 ، والحديث في سنن الترمذي ، باب كراهية أن يسافر الإنسان وحده ، رقمه : 1674 ، ونصه: " الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ "

[5]) يُنظر البحر المحيط : 328/5

العير، أو أصحابها أبو سفيان وأصحابه، وهم اسم جمع راكب لا جمع على الصحيح " [1]).

وهو رأي السمين الحلبي في تفسيره، فيقول في تفسيره لقوله تعالى : ﴿**وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ**﴾ [2]: " والرَّكْبُ اسمُ جمعٍ لراكب لا جمعُ تكسيرٍ له خلافاً للأخفش لقولـه:

بَنَيْتُه مِنْ عُصْبَةٍ مِنْ مالِيا ... أخشى رُكَيْباً أو رُجَيْلاً غاديا

فصَغَّره على لفظه، ولو كان جمعاً لَما صُغِّر على لفظه " [3]، فرجّح السمين الحلبي

رأي سيبويه، مستدلاً بتصغيره على لفظه، وهو ترجيح الفارسي أيضاً نقله ابن منظور[4]، وذهب القرطبي (671هـ) إلى أنّ الركْب جمع راكب، فأخذ برأي الأخفش، وخصّه براكبي الإبل والجمال[5]؛ فخالف بذلك مذهب سيبويه، وغيره من المفسرين.

ثانياً- لفظة (نِسْوة):

اختلف العلماء في (نِسْوة) على فريقين: أحدهما - يقول: إنّها اسم جمع. وهو رأي الأقدمين من النحاة كسيبويه، حيث يقول: " تقول في الإضافة إلى نساء: نسويٌّ، أنه

---

[1]) روح المعاني : 204/5 .

[2]) الأنفال : 42

[3]) الدر المصون : 12/5

[4]) يُنظر لسان العرب : (ر ج ل)

[5]) الجامع لأحكام القرآن : 21/8

جماع نسوة، وليس نسوة بجمع كَسرٍ له واحد"[1] والمبرد[2] ونُسب هذا الرأي إلى الزجاج [3] والزمخشري ذكره في تفسيره [4] .

والفريق الآخر – يذهب إلى أنّها من جموع القلة التي لا واحد لها من لفظها والصيغة تؤيّد ذلك ، ولها نظير في الجمع: وهو صِبية وغِلمة . وأخذ بهذا الرأي ابن عطية في تفسيره، فقال " ونسوة جمع قلة لا واحد له من لفظه ... وهو أحد الأبنية الأربعة لأدنى العدد " [5] ، وأبو حيان [6] ، والألوسي[7] ، والتزم الحيـاد السمين الحلبي [8]

وقد أخذ الإمام العيني برأي سيبويه، مستدلاً بقول الزمخشري. فعند شرحه لحديث: " **جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا** ....." [9] قال: " قَال ابن التّين: التّقدير: جلس جماعة إحدى عشرة، ومثل هَذا ﴿**وقَال نسْوَة فِي الْمَدِينَة**﴾ [10] وَقال الزَّمخشرِيّ: النسوة اسم مفرد لجمع المرأَة وتأنيثه غير حقيقيّ ..... ولذلك لم يلحق فعله تاء التَّأْنِيث. انتهى، قلت: كَذلك هنا (إحدى عشرة امرأَة)

---

[1]) الكتاب : 379/3.

[2]) يُنظر المقتضب : 292/2.

[3]) يُنظر روح المعاني : 416/6، والبحر المحيط : 305/1 .

[4]) يُنظر الكشاف : 462/2

[5]) المحرر الوجيز : 237/3.

[6]) يُنظر البحر المحيط : 305/1 .

[7]) يُنظر روح المعاني :416/6.

[8]) يُنظر الدر المصون : 347/1.

[9]) عمدة القارئ ، باب حسن المعاشرة مع الأهل ، حديث رقم : (9815)

[10]) يوسف : 30

نسوة، فلذلك ذكَّر الفعل" [1]. فهو بذلك يذهب ضمنياً إلى أنّ (نسوة) اسم جمع؛ ولذلك يجوز تذكير الفعل وتأنيثه.

المطلب الثالث

(مذهب الإمام العيني في لفظتي: إبل، وغنم)

ذكر العيني أسماء في شرحه، وكان النحاة يعتبرونها من أسماء الجموع، ولكن العيني كان له رأي آخر؛ فوضعها تحت مصطلح (اسم الجنس)، وهو مصطلح غير كافٍ لتحديد معنى الكلمة، ومن هذه الأسماء:

1. **(الإبل):** أطلق العيني على هذا الاسم مصطلح (اسم جنس صَالح للجمع والمفرد)[2]، وهو بذلك يذهب به إلى اسم الجنس، الذي تعارف النحاة على تسميته باسم (الجنس الإفرادي)، الذي يصلح للقليل والكثير[3] وهو رأي ابن حجر العسقلاني في شرحه [4]

وما ذهبوا إليه يخالف ما عليه أهل اللغة؛ الذين يرون أنّ (الإبل) من أسماء الجموع [5]؛ يقول الجوهري (393هـ): " وهي مؤَنثة؛ لأَن أَسماء الجموع التي لا واحد لها من

---

[1]) عمدة القارئ : 169/20

[2]) المصدر نفسه : 218/1

[3]) يُنظر أسماء الجموع في القرآن الكريم ، محمد إبراهيم عبادة : ص7.

[4]) يُنظر فتح البارئ : 321/4

[5]) يُنظر الكتاب لسيبويه : 574/3

لفظها، إذا كانت لغير الآدميين، فالتأْنيث لها لازم، وإذا صغرتها دخلتها التاء فقلت: أُبَيلة ..... وحكى سيبويه إِبِلان، قال: لأَن إِبِلاً اسم لم يُكَسَّر عليه "[1].

وينقل الزبيدي (1205هـ) إجماع أهل اللغة على أنّ (إبل) اسم جمع؛ فيقول: " وقوله: ليس بجمع صحيح؛ لأنه ليس في أبنية الجموع فِعِل بكسرتين، وقوله: ولا اسم جمع فيه شبه تناقض مع قوله بعد: تصغيرها أُبيلة؛ لأنه إذا كان واحداً وليس اسم جمع فما الموجب لتأنيثه إذن؟ مع مخالفته لما أطبق عليه جميع أرباب التآليف من أنه اسم جمع ..... ومقتضاه أنه اسم جمع، كغنم وبقر، وقد صرّح به الجوهري، وابن سيده، والفارابي، والزبيدي، والزمخشري، وأبو حيان، وابن مالك، وابن هشام، وابن عصفور، وابن إياز، والأزهري، وابن فارس " [2] وإلى هذا نحا بعض مفسري القرآن [3]، حيث يقول السمين الحلبي: " (الإبل): اسمُ جمعٍ واحدُه بعير، وناقة، وجمل، وهو مؤنثٌ؛ ولذلك تَدخل عليه تاء التأنيث حال تصغيرِه، فيقال : أُبَيْلَة ويُجمع آبال"[4].

2. **(الغنم):** والأمرُ نفسه حدث مع هذا اللفظة؛ حيث أطلق عليها الإمام العيني مصطلح (اسم الجنس)[5]، وقد عدّها أهل اللغة من أسماء الجموع، وتدخلها الهاء في التصغير؛ " لأَن أَسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها، إذا كانت لغير الآدميين؛ فالتأْنيث لها لازم يقال: له خمس من الغنم ذكور، فيؤنث العدد وإن عنيت الكِباش"[6].

---

1) الصّحاح : (أ ب ل)

2) تاج العروس : (أ ب ل)

3) يُنظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : 36/20.

4) الدر المصون : 770/10.

5) يُنظر عمدة القارئ: 136/1

6) لسان العرب لابن منظور : (أ ب ل)

ويبدو أنّ استعمال الإمام العيني لمصطلح (اسم الجنس) غير كافٍ في تحديد معنى الكلمة؛ لأنّ اسم الجنس عند أهل اللغة لا يخلو حاله من ثلاث [1]:

الأول – أن يكون اسماً للجنس الجمعي: وهو ما يفرق بينه وبين مفرده بالتاء أو الياء، واللفظتان ليستا كذلك.

الثاني – أن يكون اسماً للجنس الإفرادي: وهو ما لا واحد له، ويدل على القليل والكثير، نحو ذهب، وعسل، وماء واللفظتان لهما مفرد من معنيهما وهما شاة، وناقة.

الثالث – اسم الجنس الأُحادي: وهو ما أُريد به واحد غير معيّن، وذلك نحو ذئب وأسد ورجُل واللفظتان تدلان على معنى الجمع، فلم يبقَ إلاّ اسم الجمع الذي يجب تأنيثه وهو الأقرب إلى الأخذ به.

نتائج البحث:

بعد هذه الدراسة المختصرة لمصطلح اسم الجمع، واستعمالاته عند العيني، وعند غيره من العلماء؛ نصل إلى الخاتمة التي نسجل فيها ما يمكن تسجيله من ملاحظات أو نتائج، والتي أتمنى من الله العلي القدير أني قد وفّقت في استخلاصها وأهمها:

1. إنّ الإمام العيني كان في استعماله لمصطلح اسم الجمع موافقاً لمذهب أهل اللغة في مواضع، ومخالفاً لهم في غيرها؛ فقد وافقهم في (الخيل، والرهط، والنّفَر، والأدم، والثلاث) على أنّها من أسماء الجمع، وخالفهم في أنّ (الإبل، والغنم) من قبيل اسم الجنس؛ ولعل هذا مردّه إلى تأثره ببعض مذاهب أهل اللغة.

[1]) معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، محمد سمير نجيب اللبدي : ص56.

2. أسماء الجموع عند العيني، دلّ بعضها على القلة كالنّفَر، وبعضها على الكثرة كالرهط، وهذا يدحض الرأي القائل بأنّ أسماء الجمع تدلُّ على الكثرة فقط.

3. استعمل الإمام العيني مصطلح (اسم الجنس) في شرحه، من دون أن يقيده بكلمتي (الإفرادي) أو(الجمعي)؛ ممّا قد يُحدث لبساً أو خلطـاً بين المصطلحين.

4 . لم يتضح مذهب الإمام العيني في لفظة (ركب)؛ فهو متذبذبٌ بين رأي سيبويه والأخفش، ولكن في استعماله للمصطلح كان موافقاً لأهل اللغة، الذين يرون أنّ الركب خاص براكبي الإبل، وكذلك في دلالته على الكثرة. وقد أخذ بمذهب سيبويه في لفظة (نسوة).

5. كان موقف الإمام العيني من بعض الألفاظ محايداً؛ فلم يتبنّى مذهباً معيناً؛ ولذلك كان يستعمل عبارة: (هو جمع وقيل اسم جمع ....)[1] وفي المقابل نرى أنّ بعض العلماء الآخرين كالفارسي، والسمين الحلبي، والألوسي، يُرجّحون أنّها من أسماء الجموع.

6 . لم ينضبط مصطلح اسم الجمع عند بعض العلماء قديماً؛ فيخلطون بين المصطلحات الدالة على الجمع، وهو ما لاحظناه في مذهب الفراء والأخفش وغيرهما ؛ ولذلك يقول الألوسي: " وأُناَس: إمّا جمع أو اسم جمع، وذكر السعد أن أهل اللغة يسمون اسم الجمع جمعاً "[2] وقد انعكس هذا الشيء على شرّاح الحديث بما فيهم الإمام العيني نفسُهُ ، الذي كان تأثره واضحاً بمذاهب أهل اللغة المختلفة .

[1]) عمدة القارئ : 84/1، 304، 58/17

[2]) روح المعاني : 83/5

7. اعتمد الإمام العيني في شرحه لنصوص الحديث النبوي على ملكته اللغوية، وعلى ما أجادت به قريحته العلمية ؛ فاستعمل مصطلح اسم الجمع معرفاً، وموضّحاً ومفسراً به كثيراً من النصوص النبوية؛ فكان موافقاً لما عليه أهل اللغة.

8. اسم الجمع له مصطلحه الخاص به، وله دلالاته، وكذلك صيغه التي تميّزه عن غيره من الجموع، وبهذا استطاع أهل اللغة كسيبويه ومن نحا نحوه التفريق بينه وبين غيره من المصطلحات.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

1- اسم الجمع دراسة لغوية، نوح بن يحي الشهري، ط1، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة 2020م .

2- أسماء الجموع في القرآن الكريم، محمد إبراهيم عمارة، منشأة معارف الإسكندرية

3- الأصول في النحو، ابن السرّاج ، تحقيق: عبد الحسين الفتلي ط 3، الرسالة، بيروت 1408هـ .

4- الأمالي، ابن الشجري، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة.

5- البحر المحيط، أبو حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

6- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا.

7- تاج العروس، الزبيدي، دار الهداية.

8- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ط 2، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1994م.

9- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، السمين الحلبي، دار القلم، دمشق.

10- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ

11- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ،ط 2، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، 1975 م.

12- شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، ط 1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان .1990م .

13- شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الاستراباذي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975م.

14- شرح كافية ابن الحاجب، الرضي الاستراباذي، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة قاريونس، ليبيا، 1975م .

15- الصاحبي في فقه اللغة، أحمد ابن فارس، ط1، الناشر محمد علي بيضون، 1997م.

16- الصحاح في اللغة، الجوهري، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م

17- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

18- فتح البارئ شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

19- فيض البارئ على صحيح البخاري، محمد أنور شاة الكشميري، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت، 2005م .

20- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، ط 3 ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م .

21- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ط/3، دار الكتاب العربي، بيروت1407هـ .

22- لسان العرب، ابن منظور، ط 1، بيروت، دار صادر.

23- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ .

24- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م .

25- معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، ط1، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن 1985م.

26- المقتضب، أبو العباس المبُرِّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، 1994م.

27- المنهاج، أبو زكريا النووي، ط 2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ .

الدوريات:

1- اسم الجمع في العربية، خالد محمد العبيدي، مجلة كلية العلوم الإنسانية، جامعة بغداد، العراق، المجلد (1)، عدد (16) ، 2014م .

الرسائل العلمية:

1- جموع التكسير في صحيح البخاري، (رسالة ماجستير)، خالد محمود شحادة، الجامعة الهاشمية، الأردن، 2008م.